

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ورفعنا لك ذكرك (سورة الاحقاف ٢٠)

عروس الأعياد

للأستاذ دكتور
محمد مسعود أحمد

ترجمة إلى العربية :
دكتور مفتي محمد مكرم أحمد

مطبوعة :

إدارة مسعودية ٦/٢ ، ٥ إي ناظم آباد كراتشي - سندھ
إسلامی جمہوریہ پاکستان

عروس الأعياد

تقديم

كلما أمسكت القلم لأسطر هذه السطور وجدت قلبي أعجز وفكري أقصر وشعوري أكبا أن أصور تصويرا صادقا عن العواطف والوجدان عما يخالج في الجنان أجل، فإنها مناسبة صعبة ومهمة دقيقة وموردة عضلة فهل على مسلم أشد من أن يتناول ميلاد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ذكرا وقلبه لا يجل ويده لا ترتعد وعينه لا تسكبان وعواطفه تساعده على إبراز المعاني المكنونة وتحلية الكلام . فأيتها السادة الكرام : هذه سطور عاجلة تعبيرا عما ألفه المصنف الحنون الهائم عمّت فيوضه في اللغة الأردنية في ذكر ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وذكره الشريف حاولت أن البس تلك العواطف الجياشة لباس العربية وباللعب على من يحاول إحاطة العواطف العميقة اللطيفة بالكلمات ويظن أنه قد برئ عن أداء الواجب - وعلى كل حال أوردني المصنف العلام موردا قد لا يشفى الغليل لأن الموضوع دقيق حساس والتعبير عن الوجدان كما قلت شئ متعذر المنال وإلى جانب ذلك هناك عوامل تمنح الموضوع حلاوة وإنجابا بما أنه يفسر أسرار الحب وخبايا القلوب ومكونات الطبائع توتر لها أوتار القلوب بمجرد الذكر فكيف بك إذا كان الذكر يدور حول ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فيرقص ويتغني القلب حبا .

والحق أن الذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ثابت بالحديث وله أصل راسخ في القرون المشهود لها بالخير وأجمع عليه الأمة . والأمر الثاني أن الحب وعواطف الأدب والتعظيم قد لا يوزن بميزان الشرع الشريف فإن فيه سعة ورخصة وتوسع مادام نفس الموضوع مؤيدا بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة " كما أنه ثبت بالكتاب والسنة فقال الله تعالى عز اسمه "ورفعنا لك ذكرك" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه" (رواه البخاري على سند أبي هريرة رضي الله عنه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم" (رواه مسلم) وفي رواية

لترمذي "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة" وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم وفي الباب أحاديث كثيرة لا يسعها هذا المختصر فكلها ذكر لنبي منه صلى الله عليه وسلم وجدير بالذكر ما وصل حد التواتر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع المنبر في مسجده ويسأل الحسان رضي الله عنه أن يهجو الكفار ويدفع عنه ودعا له "اللهم أيده بروح القدس" رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها وعن فئة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

فالذكر والوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما روى عن الصحابة والتابعين واتباعهم من تبعهم حتى إلى يومنا هذا .
فمن الطبيعي أن المحب الصادق الأحوال قد يتناقل عليه النقد إذا كان الموضوع يدور حول المحبوب نتحاشى ونعوذ بالله العلي العظيم أن نأتي بشيء لا يرضى به الله ورسوله ولكنكم أيها السادة "زنوا بالقسطاس المستقيم".
لله در الشاعر حيث قال :

أحبه وأحب فيه ملامة

إن الملامة فيه من أعدائه (منتبى)

ألكتاب بين أيديكم فانه حاولت جهد طاقتي أيها القراء الكرام أن أحيط بروح المعاني - فالمتن الأصلي من الكتاب وهو في اللغة الأردنية وإنى قد ألبسته لباس العربية ليكون أعم نفعاً وأشمل افادةً واعظم قيمةً وأوسع نطاقاً - فإذا كانت حقا وصوابا فبنعمة الله وكرمه وإذا كانت خطأ فمن عندي أسأل الله الجزاء ومنه التوفيق وعليه التكلان .

نحمده ونصلى على رسوله الكريم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "أول ما خلق الله نوري" (١)
وقال صلى الله عليه وسلم "كنت نبيا و آدم بين الماء والطين" (٢) . وإنما خلق الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من نوره وكرمه بالنبوة ثم خلق الخلق ومنه الملائكة فصلوا عليه اتباعا لله سبحانه وتعالى ثم إذا نزل ذلك النور

المحمدي إلى الأرض (٣) . فاشتركت البرية في الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فهذا نوع للاحتفال بذكره لمن له أدنى تأمل . يستمر الذكر والاحتفالات الصلواتية من بدء ما خلق الله السماوات والأرض بل قبل ذلك . وكان يتمتع من كان يساهم في ذلك العيد العظيم من الملائكة والبشر (٤) . فسبحان الله وله الكبرياء . يحب الله حبا جما من يحبه حتى جعل الله شعار المحبوبين نفس شعاره تقدس وتعالى (٥) . هذا من أعظم ميزات المحبة وإنما أمر بتعظيم تلك الشعائر وتكريمها (٦) وجعل أعيادهم كعيد لذكره تعالى (٧) وقال في هذا الصدد "وذكرهم بأيام الله" (٨) . وحقا يعتبر ميلاد الأنبياء كيوم من أيام الله يؤيده القرآن الكريم حيث يذكر ميلاد سيدنا يحيى عليه وعلى نبينا عليه الصلوة والسلام فيقول وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (٩) .

اتفق المؤرخون والعلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين واشرقت له السماوات والأرض ذلك الحين . وإنما كان صلى الله عليه وسلم يصوم يوم الإثنين شاكرا لأنعم الله تعالى وإذا سئل عنه صلى الله عليه وسلم قال إني أصوم هذا اليوم لأنه بدء الوحي على ذلك اليوم وولدت نفس اليوم (رواية بالمعنى) (١٠) اختلف العلماء في تعيين تاريخ الميلاد كما ذهب إليه فئة من المحققين والعلماء الباحثين أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وهذا التاريخ يؤيده المآثر والباقيات الممتدة على ثلاثة وأربعة آلاف (١١) عام "بناء عليه يجدر هذا التاريخ لتعيين الميلاد - فملخص القول أنه يوم الإثنين والثاني عشر من شهر ربيع الأول لهما نسبة خاصة وشرف وعلاقة عميقة في ميلاد النبي الكريم رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله وسلم وإنما السعادة والرفعة بالنسبة والعلاقة لا بالدعوى جرافا . ولقد من الله على المؤمنين ببعثه محمدا صلى الله عليه وسلم كما قال "ولقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم" الآية (١٢) وإنما ذلك المن واطهار تلك النعمة العظيمة لتبنيه للمؤمنين بأن تعيها أذن واعية يذاكر بها

ويذكر ولا ينسى فيضعها وراء الظهر ثم أتبع بأمر الاحتفال عيدا للأمة (١٣)
 دعا سيدنا عيسى عليه السلام لربه "ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا
 عيدا لأولنا وآخرنا" (١٤) فتأملوا أيها السادة الكرام أن اليوم الذي أنزل فيه
 المائدة يحتل محل العيد للأولين والآخرين منهم أما اليوم الذي تشرف بظهور
 روح النعماء قاطبة كافة، أفلا يجدر بالاحتفال كالعيد؟ حقا هذا اليوم أحق أن
 يحتفل كالعيد بالنسبة ذلك اليوم الذي تمنى به سيدنا عيسى عليه السلام .

كذلك الليل الذي أنزل فيه القرآن الكريم يعتبر أفضل من ألف شهر
 (١٥) فما رأيك في الليل الذي جاء فيه القرآن الناطق وحامله؟ حقا هذه الليلة
 لأفضل مكانة عند الله من الأول . يعظمون ليلة القدر تعظيما فيحتفلون بها
 كل عام بكل بهجة وسرور وتحمس اظهرا لتقديس ليلة القدر . هنا أعرض
 عليك أيها القارى الكريم سؤالا : أفليس العيد الأعظم أجدر أي الليلة التي انار
 الله فيها الأرض بميلاد النبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أجدر بأن يحتفل
 بها ويكثر ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة قال الله تقدر
 وتعالى مجده "وأما بنعمة ربك فحدث" (١٦) قال البخاري إنما النعمة الكبرى
 هو النبي صلى الله عليه وسلم نفسه (١٧) فليكثر من ذكره صلى الله عليه
 وسلم . وقد ورد الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد على المنبر
 وتحدث عن مولده وميلاده (١٨) وأنه صلى الله عليه وسلم سأل بعض
 الصحابة أن يصفه على أعين الناس ففعل (١٩) كما ورد في الحديث وأنه
 سأل حسان بن ثابت رضى الله عنه أن يصفه ويهجو قريشا وكان صلى الله
 عليه وسلم يضع لحسان رضى الله عنه المنبر في المسجد النبوي الشريف
 بيده نفسه وكان يدعو له "اللهم أيده بروح القدس" .

ومن شعر حسان في ذكره صلى الله عليه وسلم :

وأحسن منك لم تلد النساء

وأجمل منك لم تر قط عيني

كأنك قد خلقت كما تشاء .

خلقت مبرءا من كل عيب

وعمه عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه إذا انصرف من غزوة تبوك فى العام التاسع من الهجرة ما يطابق ٦٣٠ من الميلاد فانه جاش صدره مدحا للنبي صلى الله عليه وسلم, فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول فيه شيئا فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده (٢٠) وكل هذه الحقائق مؤيدة بالحديث وليس فيه شىء من عندنا .

ثبت بالروايات المتواترة أن مالك بن أنس رضى الله عنه إذا كان يروي عن شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته فيهتم له اهتماما بالغا (٢٢) كما نشاهد اليوم فى بعض المشائخ الكبار يهتمون باحتفال عيد الذكرى فى عصرنا هذا .

وكان الشيخ الجليل سيدنا عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه يحتفل بذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى اليوم الواحد عشر من كل شهر ويواظب عليه وكان يطعم المساكين ويدعو الفقراء إلى الطعام ويصدق (٢٣) وتسنى له هذه السنة مستمرا إلى يومنا هذا - كما يبشر العلامة الكبير محمد بن تيمية للمحتفلين بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهتمين بذكره صلى الله عليه وآله وسلم بجزيل الثواب وأجر عظيم (٢٤) - ليس مثل هذه الاحتفالات بذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى اليوم المعين من عمل نكرته الشريعة الشريفة بل أنه ممتد على القرون ويصل إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . كان الشيخ عبد الرحيم والد المحدث الجليل شاه ولى الله المحدث الدهلوي يواظب على إطعام المساكين والفقراء يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢٥) .

ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل يتجاوز إلى ابنه الشهير الشاه ولى الله المحدث الدهلوي فانه كان يهتم باحتفال يوم الميلاد فى اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ويجمع الناس ويصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويطعم الطعام ويقسم الحلوى واحتذى بوالده ابنه الرشيد الشيخ الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمة الله تعالى عليه (٢٦) . كما أنه حضر الشاه

ولى الله المحدث الدهلوي فى احتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان فى مكة المكرمة فإنه شاهد بنور الكشف أن الأنوار وسعت المحفل وتماطر كالمطر الوابل (٢٧) وكان يعتبر المرشد الكبير الحاج إمداد الله المهاجر المكي شيخ السيد المولوي رشيد أحمد الكنكوهي، محافل الميلاد ذريعة للنجاة الأخروية والسعادة العظمى فيحتفل به كل عام ويصلى ويسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائما (٢٨) وكان الشاه المفتي محمد مظهر الله الدهلوي أعظم المعاصرين من أهل الفتيا (المفتي الأعظم فى عصره) يهتم بانعقاد محفل الميلاد النبوي صلى الله عليه وسلم فى الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان ينعقد هذا المحفل فى المسجد الجامع المعروف بمسجد فتحفوري الملكي يستمر طوال الليل حتى الفجر وينتهى بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم قائما ثم يطعم الطعام ويوزع الحلويات على الحاضرين (٢٩) .

وقد ترائر هذا العمل فى نفس الجامع المذكور اعلاه حتى الآن تحت رئاسة وإشراف حفيده المكرم دكتور المفتي محمد مكرم أحمد حفظه الله ويعتنى به اعتناء عظيما .

وإنما يصلى بعض الملائكة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائما (٣٠) على الدوام فهذا من سنة الملائكة الكرام . حضر الفاضل الجليل الإمام تقى الدين السبكي فى مجلس من العلماء فانشد أبياتا للإمام الصرصري فى المجلس فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه وكانت الأبيات تحتوى على معاني القيام حين ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يسمع العلماء الشعر حتى قام جميعهم تعظيما لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم (٣١) ومرت على هذه الواقعة الصادقة سبعة قرون . يستنبط من هذه الواقعة أن الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم قائما أنه أيضا من سنة صلحاء الأمة وعلمائها الربانيين . والمحدث الكبير الشيخ عبد الحق الدهلوى من أبرز علماء الهند فى الحديث والفقہ ومن أجل مشائخ الهند كان

يصلى ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قائما على الدوام وكان رحمه الله يعتبره أقرب إلى القبول (٣٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٣) ما أحبه المسلمون يحبه الله (رواية بالمعنى) وقال صلى الله عليه وسلم (٣٤) "من سن سنة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها" (رواية بالمعنى) وقال صلى الله عليه وسلم "كونوا مع الجماعة في كل حال" (٣٥) ومع السواد الأعظم من المسلمين (رواية بالمعنى) .

فملخص القول أنه صح ذكر الميلاد والاهتمام باحتفال عيد الميلاد وهو ثابت من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والذين يلونهم ومن الذين تبعهم بإحسان من صلحاء الأمة قولا وفعلا .

من طبيعة المحبة أن المحب يميل طبعاً إلى ذكر الثناء الجميل للمحبوب ومذاكرة أوصافه ومكارمه بل أنه يشفق إلى استمرار الذكر والمذاكرة عن المحبوب ما شاهدنا محبا يفر من ذكر الحبيب ويزعج من ذكره أو يندد أم ينكر إذا ذكر عنده الحبيب فإنه ليس من شأن المحبة بل هو معارض للحب .

والحق أن الحب الصادق والفرحة المتفرع عليها والاستمتاع بتلك البهجة والسرور والفرحة الطيبة ان لا يمر أنا من الحين على من يدعى الحب خاليا فارغا مشتغلا عن المحبوب فإنه يكون مواظبا متمسكا بسنته ظاهرا وباطنا سرا وعلنا في كل آن ومكان اذن نحتفل عاما فعاما بكل عناية واهتمام وولع وشوق بذكر عيد الميلاد للنبي صلى الله عليه وسلم متمسكا بسنته صلى الله عليه وآله وسلم وسنة اتباعه الصادقين رضوان الله عليهم أجمعين الذين يفتخر بهم الإسلام . ما أحسن قول الشاه عبد الغني الدهلوي المحدث الكبير الذي قرأ عليه الحديث السيد رشيد أحمد الكنكوهي حيث قال : ان السعادة الكاملة للإنسان ترجع إلى فرحه وانبساطه بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧) .

وفقنا الله سبحانه وتعالى نصيبا من الحب الصادق لحبيبه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم فيدفعنا إلى اتباع السنة اتباعا كاملا حتى نصبح أسوة
ونموذجا عمليا لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ونتصبغ بصبغة السنة حتى
نصبح دليلا للآخرين وقدوة للمتمسكين بها ومنازة نور للأوابين في ظلام
مهين وضلال مبين . اللهم تقبل منا بجاه وجهك الكريم وبحق سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم آمين .

بمصطفى برسان خویش زانکه دین همه اوست

اکر باونه رسیدی تمام بولهبی ست

الترجمة : تمسك بسنة رسول الله صلى عليه وسلم . واسلك على مسلكه
صلى الله عليه وسلم لان الدين كله هو ومنه فان لم وصلت إليه فما بقى إلا
ما كان عليه ابولهب .

هوامش :

- (٢٠) ابن كثير : سبلا - مصطفى، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢١) بخارى شريف ج ١، ص ٦٥ .
(٢٢) إقامة القيامة، ص ٤٤ .
(٢٣) قرّة الناظر، ص ١١ .
(٢٤) الدر الثمين، ص ٨ .
(٢٥) اقتضاء الصراط المستقيم .
(٢٦) الدر المنظم، ص ٨٩ .
(٢٧) فيوض الحرمين، ص ٨٠ - ٨١ .
(٢٨) فيصله هفت مسئله مع تعليقات، ص ١١١ .
(٢٩) تذكرة مظهر مسعود، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
(٣٠) سورّ الصّفات : ١ .
(٣١) إقامة القيامة .
(٣٢) اخبار الاخيار، ص ٦٢٤ .
(٣٣) مؤطا إمام محمد، ص ١٠٤ .
(٣٤) مسلم شريف، ج ٣ ص ٧١٨ .
(٣٥) مشكوة شريف ج ١، ص ٥٨ .
(٣٦) مشكوة شريف، ص ٣١ .
(٣٧) شفاء السائل ..
(١٠) ابن أثير : أسد الغابة - ج ١ - ص ٢١ - ٢٢ .
(١١) بهاغوات قرآن ج ١٠ قطعة ١٢ باب ٢ بيت ١٨ .
(١٢) سورة آل عمران : ١٦ .
(١٣) سورة يونس : ٥٨ .
(١٤) سورة مائدة : ١١٤ .
(١٥) سورة قدر : ٣ .
(١٦) سورة ضحى : ١١ .
(١٧) بخارى شريف، ج ٢، ص ٥٦٦ .
(١٨) ترمذي شريف ج ٢ ص ٢٠١ - مشكاة كتاب الرؤيا والأدب باب البيان والشعر
متفق عليه .
(١٩) زرقانى، ج ١، ص ٢٧ .



